آسيا

أحمد ناصر

اسيا

A G للنشر والتوزيع

تليفون:01009930002

E-mail:a.gforpublishing@Gmail.com

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة للكاتب
ودار أدباء 2000 للنشر الإلكتروني
مجموعة قصصية / آسيا
للكاتب / أحمد ناصر
تصميم الغلاف / محمد علي
تصحيح لغوي / محمد فايز
الإصدار الأول / 2016
دار **أدباء 2000** للنشر الإلكتروني
الموقع الخاص بالدار
http://entashaaer.wix.com/odabaa2000
المدونة الخاصة بالدار ومجلة أدباء 2000على البلوجر
http://odabaa2000.blogspot.com.eg
الصفحة الخاصة بالدار على الفيس بوك
/https://www.facebook.com/Odabaa2000
الجروب الخاص بالدار على الفيس بوك
/https://www.facebook.com/groups/1686790618200616

الاسم : احمد ناصر

المواليد: مارس 1991

المؤهل: بكالريوس هندسة جامعة المنصورة

المؤلفات : المجموعة القصصية **جرعة رعب** - رواية **ذات يوم في اوكرانيا**

- حصل على شهادة تقدير من ادارة شمال جدة التعليميه افضل قصة قصيرة

آسیا

هل ترى تلك المرأة الحدباء التي تهيم خلف الحشرات؟

هل تصدّق أنها كانت منذ بضعة أيام فقط أجمل بنات القرية؟

لو أنك من قريتنا فأنت تعرف جيدًا (آسيا)، ولو لست منها فأرجوك ألا تتهمني بالمبالغة، أنت في حياتك لن ترى أجمل منها، حتى تلك البثرة على وجنتها يمكنك ببساطة مريعة أن تتغاضى عنها، إن صخرة على سطح القمر لن تمنعك أن تصفه بأنه (القمر)

وهي تعلم هذا، ولهذا لم تحاول أبدًا إزالة البثرة، إنها تلك الثنائية الشهيرة: (جميلة، ومغرورة)

لكنها لم تعلم أن المثلث كاملاً هو: 'جميلة، ومغرورة، وتعسة الحظ إلى أقصى مدى'، يا لأختي المسكينة! أنا أختها وأعرف عنها كل شيء، وسأحكي لك..

****

في الصباح كنّا نتجول حول البحيرة.. داعبَت خصلات شعرها وقالت لي:

- وهل تصدّقين أنني أنا قد أعشق فتىً، من كان!
- إن لم تحبيه فاتركيه ولا تعذّبيه وتسخري منه وسط الجميع

تضحك وتقول:

- يجب أن يفرح يا (فاطمة)، كم فتى بالقرية منحته بعضًا من اهتمامي لأسخر منه؟

يمر بنا أحد الشباب فيبدأ بمعاكستها:

- يا إله السماء، هل أرسلتَ إلهة الجمال إلى الأرض؟

تلتفت إليه ولم تفارقها الضحكة:

- وأرسل معها إله السماجة أيضًا.

يلفت انتباهنا مجذوب القرية، إنه رجل عجوز أحدب في ملابس رثة، وله نبرة قوية ومزعجة جدًا إذ يردد:

- المقسوم... المقسوم... المقسوم... المقسوم

ثم يقترب منّا باسطًا إلينا كفًّا فارغة. تميل (آسيا) لتتفحص وجه المجذوب فتتجعد عضلات وجهها في اشمئزاز:

- يا إلهي المجيد! هل يُعقل أن الذي خلقني قد خلقك؟

يمتعض وجه المجذوب ويشيح عنّا قليلاً بينما يقول بنبرة منخفضة:

- المقسوم.

تستدرك (آسيا):

- ثم ما هذا الصوت؟ هل ابتلعتَ ضفدعًا أم....

تنظر لي وتضحك:

- أم أنك تريهم في هذا الإثْب على ظهرك!

تلتمع نظرة غضب بعين العجوز، يدير وجهه إليها ويمد إصبعًا نحو البثرة على وجنتها حتى يلمسها فيقول بنبرة رهيبة:

- المقسوم.

تنتفض (آسيا) في مكانها للحظة كأنما تكهربت، يُنزِل العجوز يده ويمضي إلى بعيد مردِدًا كلمته الوحيدة، بينما تحاول (آسيا) أن تنفض نظرته عنها، تفتعل ضحكة مرتبكة:

- أيًا كان!

ثم تأخذني من ذراعي، إلى البيت.

****

تقف (آسيا) أمام مرآتها:

- مرآتي يا مرآتي.. من أحلى مني بالـ....؟

لسنوات اعتادت أن تقف أمام المرآة تقول ذات الكلمات، ولا يشتت انتباهها أبدًا وجود البثرة على وجهها، فلماذا اليوم بالذات لا تستطيع أن تتم الجملة؟

تلتفت إليّ بحزم:

- لنذهب إلى الحكيم.

اصطحبها إلى هناك. يتمعن حكيم القرية في النظر إلى وجنتها وأظنه يسرح حينًا في جمالها ثم يقول:

- أنا لا أرى حاجة لإزالتها
- أنت تقوم بعملك وكفى.

تصدمه عبارتها، ينتقل إلى خزانته فيجلب بعضًا من الأعشاب المطحونة، ويخبرها أن تضعها بانتظام كل يوم.

****

تنظر (آسيا) إلى البثرة التي تتضخم يومًا بعد يوم، وتقول ببساطة:

- إنه حمار!

تتلفح بوشاحها وتقول:

- أنا سأذهب إلى الشيخ (جِرجار).. يقولون أن سره باتع.

يتملكني القلق:

- لكن.. نحن لا نريد أن نذهب إلى هذه الأماكن يا (آسيا)
- لو خائفة، ابقِ أنتِ.

ثم تتركني وتتقدم، ألتقط ملاءتي وأسرع خلفها.

تخنقني رائحة البخور المحترق، يضع الشيخ (جرجار) مزيدًا منه في النار ويطلب منها مزج بعض الأعشاب مع ساق ضفدع مطحونة واستخدامها للدهان، تهم (آسيا) أن تعترض:

- ولكن...
- لا كلام قبل ساق الضفدع المطحونة.

تنحني (آسيا) حول حواف البحيرة محاولة الإمساك بأحدهم، لكنهم دائمو القفز، وحين تنجح أخيرًا في القبض على ضفدع يفرز سائلاً لزجًا فوق يدها فلا يفارق الاشمئزاز وجهها حتى البيت.

يصدر الضفدع نقيقًا يفوق حجمه الصغير بمراحل ويكاد يوقظ الأموات وهي لا تريد إيقاظ الجيران، تود أن تضع يدها على فمه تغلقه لكن الغريب أنه مغلق أصلاً، فمن أين يُصدِر هذا الصوت؟

تثبته بيديها إلى المائدة، وتخبرني أن أسرع بإحضار السكين، ثم تطلب مني أن أقيّده بدلاً عنها، يرتفع نقيق الضفدع إلى أقصى حد، وفي أقل من لحظة: تُسقِط السكين على ساقه فتفصلها.

أشهق وأجذب يدي لأخفي فمي، يكف الضفدع عن النقيق، ينتفض على ساق واحدة فيختل توازنه ويسقط، ينظر إلى ساقه الممدة على طاولتنا نظرة طويلة قبل أن يزحف على ثلاث صانعًا خيطًا من دمٍ إلى الباب.

تجذب (آسيا) أطراف جلد الساق إلى الخارج، ثم تلقي بالساق المسلوخة على المائدة وتذهب إلى المطبخ، أنظر بذعر إلى الساق المفترض أنها ميتة، لكنها لا تكف عن الانتفاض، تعود (آسيا) بيد الهاون، أقول بينما ترفع الهاون وتهوي به على الساق:

- ألم يكن يُفترَض أن تقتلي الضفدع أولاً، بدلاً عن تعذيبه؟

****

تقف (آسيا) أمام المرآة، تأخذ مسحة من معجون ساق الضفدع على إصبعها وتدهن بها البثرة في ابتهاج:

- مرآتي يا مرآتي، هل أعود أجمل امرأة بالكون؟

ثم تلتفت لي، تتسع عيني بينما أرمق خدها ينتفخ كالبالون، تنظر بذعر إلى عيني المتسعة فتعود تنظر للمرآة، وتصرخ:

- الحقيني يا (فاطمة)، ما الذي يحدث لي؟!
- لابد أنه تورّم، يبدو أن لديك حساسية من ساق الضفدع هذه.

آخذها إلى الحوض:

- يجب أن نغسل هذا الدهان بسرعة

تميل رأسها إلى جانب الخد الآخر:

- لكنه ثقيل يا (فاطمة)، هذا التورّم لا يمكنني حمله... إلى من أذهب بعد هذا؟

اوسدها فراشها:

- نامي الآن، والصباح رباح.

****

في الصباح كانت غرفة (آسيا) تعج بالضجيج، شيئًا مثل: ألف ضفدع ينق، لكن من أين يأتي هذا الصوت؟

أفتش جيدًا تحت الفراش وفي الخزانات، ثم تتملك الفكرة مني فأقترب ببطء من الفراش، وفي لحظة أزيح الغطاء عن (آسيا)، فيعلو الصوت دفعة واحدة، ولازلتُ لا أرى ضفادع.

تفتح (آسيا) عينها فتنظر لي بشكٍ، وأنظر لها بشكٍ، تضيّق عينها للحظة وترهف السمع قائلة:

- هل تسمعين ما أسمعه يا (فاطمة)؟

تحك جسدها بالفراش عدة مرات، ثم تعتدل جالسة:

- لا أدري لم لا يريحني هذا الفراش!

ولكن من قال أن المشكلة بالفراش؟ المشكلة أنه لا يمكن لأحد أن يرتاح في نومته على ظهره إن كان ظهره محدّبًا. تجلس (آسيا) على حافة الفراش، رأسها لأسفل وإلى جانب:

- أشعر ثقلاً على ظهري يا (فاطمة)

تحاول أن ترفع رأسها وتدفع بكتفها للأمام علّها ترى، تفشل لكنها تفلح في معرفة ما هنالك، تنظر إليّ بذعر بينما تصرخ وتلطم خديها:

- هل صار لي إتبًا يا (فاطمة)... هل صار لي إتبًا؟!!

ابتلعت الكلمة في حلقي.. كيف يمكن أن أقول:

- نعم يا (آسيا)، وتسكنه الضفادع أيضًا.

أميل عليها لتهدئتها، في حين تقف ذبابة على وجهي، وفي أقل من ثانية يمتد لسانًا من خدّها يلتقط الذبابة ويعود للداخل.

في الأيام التالية صار معتادًا أن ترى امرأة حدباء تخفي نصف وجهها بالوشاح وتهيم في أرجاء القرية منحنيةً نحو الأركان، ومصدّرةً خدها المتضخم لأي حشرة عابرة. حينها لتعرف أنها أختي (آسيا).

****

مشية القطة

تعتلي المسرح، يتطاير شعرها المتموج فوق ظهرها المنتصب، يدق كعبها العالي الأرض الممسدة ، يرسل خلخالها الرنان نغمات مدوّخة، تتناغم ساقاها في خطوات انسيابية فوق المسرح، ذات الخطوة، ذات الغنج، ذات الثقة، مدهشة...

هتف مصمم الأزياء من خلف طاولته:

- مدهشة! دخلتني في جو فلكلوري ملوش مثيل، المشية الأرستقراطية دي مع شعرك الغجري وخلخالك الفلاحي عملوا مزيج

حرّك يديه في الهواء وكأنما يبحث عن الكلمة المناسبة :

- بديع

ثم مال على مجاورته:

- ودي جبتيها منين دي؟
- اتوسطت لها واحدة معرفة، قالتلي هييجي منها، لكن ييجي منها إيه؟

ثم توجهت بالحديث إليها:

- دي أستاذة، أنا مش مصدقة عنيا! إنتي بتمشي مشية القطة ولا كإنك أميرة من العصور الوسطى، ولا جسمك، مظبوط كإنه مرسوم بالمسطرة، مين يصدّق إنك حملتي وعندك ولد؟!

كانت تبتسم في زهو منتشية بآراء أصحاب العمل، ولكن الابتسامة تجمدت فجأة، أحنت رأسها إلى أسفل فيما عينيها لم تنحنيا، صوّبت عينيها مباشرة إلى عيني محدثتها قائلة كلمتها الواحدة:

- معادش.

ترتبك ربة العمل، لا تدري بم تجيب، فتدير الدفة قليلاً:

- لكن قوليلي، إنتي من أسبوع واحد مكنتيش بتمشي خطوة في الكعب العالي، عملتي إيه عشان تبقي هايلة بالشكل دا

تنظر لها بثبات:

- فعلا بدّك تعرفي؟

****

تدلف من باب العمارة، تشتم القطة رائحتها، تترك صغارها تحت بئر السلم وتركض خلفها مصدرة مواء ضعيف، تسرع بخطواتها هربًا من تمحك القطة، تطرق الباب بيدها وتضرب الأرض بقدمها في نفاذ صبر، تفتح أمها الباب فتسارع بالدخول وتدفع القطة بقدمها، تميل الأم تربت على ظهر القطة:

- بالراحة يا بتي دول بيحسوا زينا
- ديه جربانة متلمسيهاش يا مّه

تلتفت إليها الأم:

- المهم عملتي إيه؟ اتوظفتي؟
- لسه يا مّه، هيمتحنوني كمان أسبوع، بس آني لازمن أنجح
- إلهي يفتح في وشك السكك المقفولة ويوقفلك ولاد الحلال يا (بثينة) يا بت بطني

تخطو الأم للداخل فتعود حاملة إناء من بقايا لحم تبسطه على عتبتها للقطة، تعاجلها الابنة:

- وهو إحنا لاقيين ناكل لما هتأكلي القطة يا مه؟
- وماله يا بتي، ديه نَفَسَة ومحتاجة تتغذى."

تصدر القطة قرقرة راضية.

****

تدس قدمها في الحذاء ذي الكعب العالي، ترقبها عين أمها من بعيد، تخطو خطوة حذرة، ترتج ساقها فتتمايل حصولاً على الاتزان، تمد ساقها اليسرى لتحصل على خطوة جديدة على نفس الاستقامة، ترف عين أمها اليسرى، لا تحصل على أرض بأسفل قدمها، تسقط، تهب، تكرر، ترتج، تثبت، تسقط، تسقط، ترتمي على الأرض تبكي.

تنتفض أمها على إثرها:

- مبلاها الشغلانة دي يا بتي
- وعايزاني أشتغل إيه؟ دَكتورة؟ مانتي لو كنتي سيبتيني أكمل في المدارس كان زماني دَكتورة فعلاً وللا مدرسة
- وكنت هعمل إيه يا بتي؟ الناس قالولي بتك فايرة جوزيها وستريها، مش دِه برضك (عبد المقصود) اللي عشقتيه وقلتي لو متجوزتهوشي هولّع في روحي؟
- كنت عيلة يا مّه، كان لازمن تنصحيني
- حظك قليل يا بتّي، كنت أعرف منين إنه هيرميكي الرمية ديه
- وياريت عشان حاجة عِدلة يا مّه قال بيقولي سحرالي، بس لو أعرف أنهي دجال نصاب فهمه إني سحراله!! أني! أني أسحر يا مّه؟ واديني رجعتلك ومش بطولي لاه، معايا عيّل، وعشان كده آني لازمن آخد الشغلانة ديه
- بس إنتي يا بتي متقدريش ع المشية ديه

- ح اقدر يا مّه، ح اقدر

تهب واقفة، تخطو إلى باب المنزل تفتحه وتصدر بسبسة من بين شفاهها، ترمق على إثرها القطة الجربانة تتهادى من بعيد.. تضيّق حدقتيها وترقبها إذ تخطو برشاقة، إذ تتبختر في أربع كأميرة أو ملكة.. ملكة سوداء جربانة لكنها تجيد مشية القطة، تقدم ساقها الأمامية اليمنى مع ساقها الخلفية اليسرى، ثم الأمامية اليسرى مع الخلفية اليمنى، ذاك التجانس، ذاك التناغم، في كل مرة، إنه مدهش. تنظر إليها بحقد، فقط لو تعرف كيف تخطو مثلها، تقترب القطة حتى صارت على العتبة، وقبل أن تدلف، تغلق الباب بوجهها بعنف، فيصلها مواؤها المعترض من خلف الباب.

تعيد إقحام قدمها داخل الحذاء، تنظر إلى نقطة أمامها تتوسط المسافة بين ساقيها، وتدفع بساقها إليها، تتحرك النقطة أبعد قليلاً، تخطو إليها بساقها الأخرى، يتحرك هدفها أبعد مسافة خطوة، تتبعه في إصرار، إنها تتقدم، إنها تنجح، لكنها إذ تفكر في موضع الخطوة التالية ترتبك، وإذ تدفع بساقها تصطدم بخلف ساقها الأخرى تتعثر، وإذ تسقط هذه المرة يصطدم وجهها بعارضة الفراش فتصرخ من الألم، ثم تخفي وجهها بالفراش باكية.

تركض على إثرها أمها، وتقول بنبرة حنونة:

- بكفاياكي يا بتي قطعتي قلبي، متعمليش في روحك كده

ثم تلتمع عينها بنظرة قاسية:

- ومتحمليش هم، آني عندي الحل

****

تحمل الأم إناء وتتجه إلى أسفل العمارة، تشم القطة رائحة اللحم فتترك صغارها وتتبعها، تنتقي الأم مكانًا قصيًا فتضع الإناء، ولمّا تطمئن إلى انغماس القطة في الأكل، تخلع نعليها وتتسلل على أطراف أصابعها إلى بئر السلم، تلتقط هرًّا صغيرًا فتخبئه في كمّها، وفي طريق العودة، تلقي نظرة على القطة الأم التي تتوقف عن المضغ وتبادلها النظر، دقائق قبل أن تلعق شواربها وتعاود اعتلاك اللحم.

تكمل الأم آخر سلمتين ركضًا، وتغلق الباب خلفها فتستند عليه وتلهث، تخرج الهرّ من كمّها وتضعه فوق المائدة، ترقبها (بثينة) في دهشة، وتهمس بصوت لا يكاد يُسمع

- بتعملي إيه يا مّه

هي تعرف أن أمها تعرف الكثير، وتعرف أن أمها تفعل الصواب، لكن ما هذا بالضبط الذي تفعله؟ من الصعب أن تعرف، فتكتفي بهدهدة رضيعها فوق صدرها، والترقب.

تركض أمها بخفة امرأة تصغرها كثيرًا إلى الفراش، تجر من أسفله صندوق عتيق، ينهكها الجر فتصطك جالسة فوق الأرض، ثم تعاود الجر حتى يصبح أمامها، تلتمع عينها بنظرة اشتهاء بينما تزيح التراب بباطن يدها عن الصندوق

الذي تآكل خشبه، هي نظرة فنان معتزل يعاود اعتلاء المسرح، أو لنقل ساحر، يحتاج أن يدهش جمهوره، لمرة أخيرة.

تخرج الأم مفتاحًا مُدلًّا إلى صدرها، تصوبه إلى قفل الصندوق وترفع الغطاء، فتتصاعد رائحة عطنة، تأنف لها أنف (بثينة)، ولا تؤثر على إقبال الأم على الصندوق، تتلمس حوافه في تجلٍّ، وتتفقد مقتنياتها في استمتاع.

تستخرج شمعة سوداء، مطرقة صغيرة، ذيول فئران، أكياس من أشياء مطحونة، أوراق من أشياء مكتوبة، أشياء غريبة...

تضع (بثينة) رضيعها إلى جانب، تقترب خطوات حذرة متطلعة إلى ما بداخل الصندوق، تشهق مخفية فيها بكفها، ثم تقول:

- إنتي بتسحري يا مّه!؟

تدير الفكرة برأسها لحظة ثم تقول:

- يبقى إنتي فعلاً سحرتي لـ (عبد المقصود) عشان يتجوزني؟

تقول الأم بنبرة جافة دون أن تستدير:

- مش كنتي هتموتي وتتجوزيه؟

تلطم خديها:

- بس مش بالسحر يا مّه، مش بالسحر يا مّه

تلتفت الأم:

- اكتمي يا به، إنتي عاوزة الشغلانة ديه وللا لا؟

تفتح (بثينة) فمها، ولا تعرف تجيب، تكرر الأم:

- عاوزاها وللا لاه!؟

تحني رأسها للأرض. فتقول الأم:

- يبقى انجرّي روحي حمّي الفرن

تختفي (بثينة) عن مجال نظرها، ولكنها ولسوء حظها تعود في اللحظة غير المناسبة. فما إن تخرج من المطبخ حتى تجد الأم بالصالة وقد اتجهت إلى المائدة، تطلق (بثينة) شهيقًا عاليًا فيما تتراجع خطوات للوراء، بينما تهوي الأم بالسكين على بطن الهر تبقره. لا يكاد يصدر عويلاً، هو فقط يكمل نومته الهادئة، ولكن إلى الجانب الآخر.

سريعًا ترفع الأم الهرّ وتجذبه تجاه (بثينة) التي تبتعد حتى تصطدم بالحائط:

- لاه يا مّه لاه

تيمم الأم وجه ابنتها بدماء الهرّ الساخنة، تدير (بثينة) وجهها يمينًا ويسارًا مرددة مرارًا تلك اللام النافية وكأنما تمحو عن نفسها تهمةً كانوا يحرقون فاعليها في القرون الوسطى، ثم تسقط منهكة في مكانها، غير أن الأم ترفعها من شعرها، فيما تتابع بيدها الأخرى ضخ الدماء إلى وجهها.

وبعد دقائق، تفلت الأم قبضتها فتهوي (بثينة) في مكانها، ثم تتجه إلى المطبخ، تفتح غطاء الفرن وترمي بالهرّ إلى الداخل.

دقائق طويلة، هل وصلت إلى ساعة، ساعتين؟ إن آخر من يمكنك أن تسأله عن الوقت هو (بثينة)، إنها غائبة تمامًا عن الوقت الحاضر، إنها في الغالب مع (عبد المقصود) على الترعة، حينها كانت تتهادى إلى جانبه في الطريق الضيق على حافة الترعة، وكان يخبرها كم أن طلتها رائعة، ولم تكن تتهادى بمشية القطة بالمناسبة. حينها تلمَس شعرها الثائر واقترب بشفاهه من خدها الوردي، ولم يكن مصبوغًا بالدماء بالمناسبة. ثم بحث عن حجر مدبب فحفر اسمها على التوتة القديمة، وهي ذات الشجرة التي دفنت أمها العمل بأسفل منها، وهذا للعلم فقط.

تشم رائحة خانقة، تسمع دقًّا مزعجًا، ما هذا الدق؟ ما هذه الرائحة؟ لا تعرف شيئًا.. تلمح رضيعها على الأريكة المقابلة فتزحف إليه على أربع، قطعة اللحم الشبيهة بـ (عبد المقصود)، على الأقل تعرف أنها لن تفرّط بها.

تخرج الأم حاملة الهاون بين يديها، تجلس قبالتها وترفعه إلى وجهها، تتناوله منها بأيد مرتعشة وتسأل:

- هوا دِه؟

تكتفي الأم بإيماءة صغيرة، تعاود الابنة السؤال:

- مباقيش منه إلا ده؟

- إيوة، حنّي يدّك يا بتي

تلتقط (بثينة) بعض العجين في راحتيها، تستدرك الأم:

- وغطّي وشك كمان

ترفع كفيها إلى وجهها، فيما تلتقط الأم ما تبقى من العجين، وتدلك به قدم ابنتها.

****

ما أحلى النوم!

إنه لذيذ!

لكنها بحاجة للشراب.

تنزل عن الفراش فتتجه إلى المطبخ، تحصل من الثلاجة على زجاجة، ومن المطبقية على إناء، فتحملهما معها في طريق العودة.

يضايقها ذاك العماص بعينيها، تلعق راحتي يديها ومن ثم تفرك عينها.. الآن الصورة رائعة، دعك من أن الجو مظلم، ولكن الصورة رائعة.

تخطو بين الموجودات في الظلام، تخطو برشاقة وثقة واتزان، تخطو بخفة وغنج ودلال، دعنا نقول أنها تخطو بمشية القطة.

تنظر إلى موضع قدمها التالي، تسرح بخيالها عجبًا؛ إنه مضبوط بالضبط!

تتناول الزجاجة فتصب بعضًا من الحليب في الآنية وتجلس تلعقه بلسانها، وهي تفكر في الأمر.

****

في الصباح، تأنقت كأفضل ما يكون للاختبار، وقد هداها تفكيرها أن تطمئن، أنها ستحصل على الوظيفة، أنها ستكفل ابنها، أنها ستكون على ما يرام، شيء واحد لم ينبئها عنه، هو ذاك الشيء الذي صادفها، بمجرد أن فتحت باب منزلها.

كانت قطة سوداء جربانة بمواجهتها، كانت منتفشة منتصبة الشعر ومرفوعة الذيل، كان بطنها متدلي وثديها ممتلئ وظهرها مقوس، وكانت ثكلى، وكانت حزينة، وكانت في وضع استعداد يبدو أنه قد كلفها سهر الليل بطوله.

كانت مثيرة للشجون وللشفقة والرثاء ، كانت بريئة ونقية ومسالمة، كانت ساذجة وبلا حيلة وضيقة الأفق إلى أبعد حد. كانت جائعة، وكانت أم، وقد كلفتها وجبتها أن تفقد ابنها إلى الأبد، كما يمكنني أن أستمر في وصفها إلى الأبد.

كانت مصوّبة عينيها اللائمتين إلى عيني (بثينة) الزائغتين، كانت تتقدم نحوها ببطء، وبثبات، وبمشية القطة، ولم تكن تموء.

تتراجع (بثينة) مع كل خطوة، خطوة للوراء، وبين الخطوة والخطوة، تكشر (بثينة) عن أنيابها وأظافرها، في محاولة يائسة للتهديد، لا تشجع القط إلا على التقدم أكثر.

تحضر الأم من الداخل حاملة الرضعة للرضيع الغافي على الأريكة، فتجمدها الصدمة في مكانها، ترقب المشهد في مهابة. تنحرف القطة إلى جانب.. تتبع أنفها فتتجه إلى المائدة صاعدة فوقها، وعند بقعة محددة تتوقف، تتشمم، تموء

وتدور وتشمشم، تشمشم وتموء وتدور، يستحيل مواؤها عواءً إذ تدور، ويستحيل عواؤها نحيب مكلوم.

تصل (بثينة) إلى حد الانهيار، تسيل دموعها ومخاطها وتنكمش في نفسها. تتخذ الأم قرارها فتقترب من القطة وتدفعها بيدها إلى أسفل:

- بِس! بره.. اخرجي بره

تستقبل القطة لطمتها فتنخفض لها رأسها، لكنها في اللحظة التالية تصير فوق أي تقدير، وتطال بقفزتها العالية وجه لاطمتها، فتغرس أظفارها في لحم وجهها، ثم تقتلع جلدها في طريق الهبوط.

تصرخ (بثينة) فيما تجري للزود عن أمها:

- سيبي امي، سيبينا في حالنا، انتي عاوزة ايه، عاوزة ايه!!!

تتلمس (بثينة) وجه أمها، وتحضنها بذراعها، فيما تركض القطة إلى الأريكة، تجذب بفمها أغطية الرضيع من أسفل فيسقط على الأرض سقطة مدوية، مصدرًا صرخات موجعة يطير لها صواب (بثينة)، يجن جنونها، تركض بكل طاقتها تجاه ابنها صارخة:

- لاااااا اقتليني آني لكن ابني لاااااااا

تنتزعه وتركض به إلى الغرفة مغلقة مزلاجها، فيما لا تزال تردد:

- ابني لا!! ابني لا!!!

لكن القطة تتبعها كالسهم فتصطدم رأسها بالباب المغلق في عنف، تزأر فتبتعد قليلًا وتعود بأقصى سرعة ترطم جسدها الهزيل بالباب الواهن بدوره فيرتج في عنف.

تستند (بثينة) بجسدها إلى الباب من الجانب الآخر وتردد العبارة الوحيدة التي يمكنها أن تدفع عمرها من أجلها:

- ابني لاااا... ابني لاااااا

تهب الأم لإزاحة القطة فتتلقى بطشة أخرى تعرّي المزيد من اللحم، تركض إلى الخارج تستدعي الجيران، تندفع القطة في سباقها المحموم الذي ينتهي عند الباب المغلق، هزيلة لكنها غضبى، صغيرة لكنها ناقمة، قطة لكنها أم، وسوف تريهم ما يمكنها أن تفعله القطة الأم.

تزداد قوة،

وتلك تزداد وهنًا

يرتج الباب في كل مرة بقدر أكبر

إلى متى يمكنها أن تقاوم؟

ينفتح لجزء أكبر من الثانية

يتزايد إحساسها بالخطر

تتهاوى (بثينة) رويدًا

عواء القط

- ابني لاه

صراخ الطفل

- ابني لـ..

نحيبها

- ابني.

تهوي إلى الأرض، تغرق في الصمت.

يتكالب الجيران على القطة المسعورة يحجّمونها، رجال أشداء لن يمثل لهم جرح في الوجه بأكثر من وسم للفخر، يرمونها إلى الخارج ويمكنهم كذلك أن يذبحونها.

تزفر أمها زفرة الخلاص، تثني المقبض لكن الباب لا ينفتح:

- خلاص يا بتي خرجوها، افتحي

لا تجيب

- خلاص يا بتي الدار أمان

لا رد.

يتبرع أحدهم بالارتطام بالباب، وفي الداخل كان مشهدًا غير محببًا:

كانت (بثينة) تحتضن أغطية ابنها الفارغة، فيما وجهها ملطخ بالدم.

****

تصوب (بثينة) عينيها الملونتين إلى عيني محدثتها المذعورتين، فيما تخطو بدلال فوق المسرح:

- هاه؟

تميل بجذعها إلى الأمام وتمد يداها تلامس الأرض فينبسط جسدها فوق الأرض متقدمةً في زهو على أربع، وعينها لاتزال مثبتة إلى عين محدثتها:

- قلتي إيه..

ثم وفي لمح البصر تقفز قفزة عالية في الهواء وتعدّل من وضع أرجلها فتهبط على ساقيها الخلفيتين فوق المنصة وفي مواجهة ربة العمل التي تبتعد محاذرة فيما تكتم شهيقها، تُخرج (بثينة) لسانها الخشن فتلعق وجه محدثتها ثم تسأل:

- ح توظفيني يا حلوة؟

****

القطة السوداء

كانت الفرحة تشرق من عيناها وتلك الابتسامة الجميلة ترتسم على شفتيها المتعبتين .....

لا تصدق نفسها هي تنتقل لبيت لطالما حلمت به تحيطه اشجار خضراء تغرد فوقها عصافير الصباح ويتوسط مدخله ممر طويل واهم

مع ذلك اجره لايصدق بالنسبة لهذه المواصفات .

بدأت رحمه بنقل اثاثها الذي وبخه الزمان واعتراه الرقي والفخامة

بذلت مجهود كبير اكبر من طاقتها وطاقة اولادها الاربعة حتى يكتمل بيت الاحلام وينعموا بالراحة

مضت ايام وايام كانت رحمه تطهو في مطبخها الهادئ وبجانبها طفليها اللذان يبلغان من العمر زين ثلاث سنوات وزينه اربع سنوات

رحمه تحرك القدر بيدها المشققه كأرض قاحلة وتسرح بعالمها فجأة افاقت من سبات احلامها على صرخت ابنتها الصغيرة اين هي .. إنها تحت طاولة الطعام نزلت رحمه وامتدت يداها لتلفح بين ذراعيها ابنتها الخائفة

- مابك حبيبتي لماذا صرختي ؟؟
- ماما هناك قطة تحت الطاولة
- اين هي ؟؟
- انها تحت سوداء .. ماما أنا خائفة ياماما

نزلت الام لترى مايوجد تحت لم تجد شيئا فهدأت من خوف ابنتها

بعد عدة ايام افاقت رحمه مبكرا انه موعد استيقاظ ابناءها انهت واجباتها تجاههم ولوحت لهم مودعة

وكان الالم والتعب واضح على جسمها الهزيل ذهبت لكي ترتاح في سريرها ولكن التعب كان شديدا فدخلت بغيبوبة النوم الطويل .....

افاقت على صوت شجار بين ابنها الكبير يلعن ويسب ويشتم ماهذا لااسمع إلا صراخه ذهبت مسرعة لتجده طريح الارض مابك على من تصرخ ؟

كان هناك لص ياامي يحاول النظر إليك وانت نائمة رأيته فامسكت به وضربته ولكني لم استطع تحمل قوة ضربته وفر هاربا ،،

ولكني لم اسمع صوت احد يا احمد سواك تشتم وتلعن ،! لا يا امي اقسم انها الحقيقة ، احتارت رحمه في الامر .ماذا يحصل يجب ان ارقي بيتي واحميه بالقرأن الكريم من كل لص، بدأت في الصباح آيات القرآن تتعالى في ارجاء بيتها ومر يوم ويومان وهي ملتزمة بآيات الرقية ....

دخلت غرفتها وهي تكمل اعمالها المنزلية اخد شي يشد بها يمسك بها بقوة ولكن لااحد معها في البيت حاولت الخروج من الغرفة ولكنها كانت ساكنة عاجزة عن الحراك وهي تشعر بلمسات غريبة موحشة تلتف حول قدميها . صوت خافت وكأنه ضميرها يقول لها

- اخرجي من هذا البيت اخرجي وإلا آذيتك واولادك انت السبب انت السبب

وتحررت من سكونها فركضت الى خارج الغرفة ادركت حينها ان البيت فيه شيء ما ،اخبرت زوجها واخوانها واخاها الشيخ فجاء مساءًا ليقرأ القرآن ويرقي البيت من الشياطين والجن ..

دخل من ذاك الممر وعلى جوانبه اشجار كثيفة تلتف حول بعضها

- كيف انتي يااختي؟
- الحمد لله على كل شيء .

بدا اخاها بالقراءة والمكان يعمه السكون والهدوء انهى قرأته وانصرف مودعا.

في منتصف الليل افاقت العائلة على صراخ عالي جدا نهضوا جميعا وتبعوا الصوت ياللهول انه ولدي مابك ؟ جسمه اشبه بضربات كهربائية

تنفضه من كل جزء ويتعالى صراخه

- انهم يضربوني أه اه يارجلي اخ يا امي .

الام فزعة والاب يكاد يشل من صدمته .

- لايريدوك ياامي في هذه الغرفة انها مليئة باطفالهم هنا يسكن ماردهم الكبير.

ردت الام عليه بشجاعة لم تعدها من قبل

- انا لن اخاف منهم ان لله معي و ...

قبل ان تكمل حديثها تغيرت ملامح ابنها بدأت عيناه بالاحمرار

والجحوظ وسكن جسمه من هزاته ونظر اليها بغضب شديد وقال

- انت لاتخافيننا سأحرقك واعذب ابناءك ان لم تتركي هذا البيت
- نعم لااخشاكم وبدأت بترتيل القران فعاد ابنها يرتجف ويرتجف وهو يصيح بأعلى صوت انهم يضربوني امي امي والام مستمرة بالقراءة

والولد تزيد آلامه وصيحاتها حتى اصبح لا يستطيع الا البكاء توقفت الام وقالت

- بني اسند نفسك على كتفي ولنخرج من الغرفة

رد بصوت متعب

- لا استطيع لقد جعلوني مقعدا لا استطيع تحريك قدماي

تبلدت الام بدهشة من الجواب ثم قالت

- حاول بني

قال بدموع غسلت جسده

- لا اقوى يا امي

خرجت الام من الغرفة واجرت مكالمة مع اخاها وعلى الفور جاء وبدأ بقراءة القران والابن عاد يصرخ ويبكي ..

ظل على هذا الحال ساعتين وبعدها الحمد لله نهض ابنها وخرجوا جميعا من تلك الغرفه وقال لها لايجب ان نبقى في هذا المكان ياامي وخصوصا انت لايريدونك هنا فما كان من الام إلا ان هزت رأسها بالموافقة .

في صباح اليوم التالي حزمو امتعتهم واخرجوا ماكانوا قد انقوه بجهد في هذا المنزل وصعدوا الحافلة لملمت رحمه خيبة املها وحلمها الممزق ومسحت بيدها دمعة الحزن والقهر وصعدت المركبة دون ان تلتفت وراءها وتلقي على بيتها نظرة الوداع

****

تمت بحمد الله